مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة محكّمة،
العدد الثاني والعشرون، خريف وشتاء ١٣٩٤هـ.ش/٢٠١٦م
صص ١١٥- ١٣٦

مقوّمات العالميّة في ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» حسب آراء حسام الخطيب

الدكتور سيد مهدي مسبوق* شهرام دلشاد**

الملخص

هناك دراسات شتّى حول عالمية الأدب وميزاتها وأطرها، منها كتاب الناقد العربي الشهير الدكتور *حسام الخطيب* المعنون بـــ"الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة" الذي أورد فيه الكاتب بحثاً قيماً عن عالميّة الأدب ومقوّماتها. ولنظريّة الخطيب في هذا المجال أهميّة قصوى وذلك لأنه ينظر إلى هذه القضيّة نظرة شاملة ويقسم هذه المقوّمات إلى ثلاثة أقسام هي الذاتيّة، واللغويّة والإطاريّة، حيث بحثت هذه الدراسة عن تلك المقوّمات في ديوان "أغاني مهيار الدمشقي" لأدونيس حسب آراء حسام الخطيب. وقد ركّزت على المقوّمات وفرّعت منها مقومات أخرى لإيضاح مؤشرات العالمية في هذا الديوان.

توصلت الدراسة إلى أن الديوان امتلك معظم مقوّمات العالمية من وجهة نظر حسام الخطيب وتميز بسمات تجعلنا نعتبره ديواناً عالمياً بسبب عرضه أفكاراً عميقة تدفع الإنسان إلى التفكر بعمق في القضايا الاجتماعية والوقوف منها موقفاً إنسانياً جليّاً وتجعله يتميّز بسمة التفرّد والإبداع، ولكنه يخلو من ثلاثة مقوّمات، هي: النكهة المحلية، والمقوم الإطاري، وتحقيق التوازن الدقيق بين المعاني المنشودة للخاصة والعامة؛ فالشاعر لم ينجح في إثارة انتباه القراء المحليين بالنسبة إلى المتخصصين، كما أنّ أسلوبه المتوغّل في الرمز والأسطورة والدلالات الصوفيّة تسبّب في صعوبة فهم شعره من قبل عامة الناس.

كلمات مفتاحية: مقوّمات العالمية، حسام الخطيب، أدونيس، أغاني مهيار الدمشقي.

---

*- أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة بوعلي‌سينا، همدان، إيران. smm.basu@yahoo.com

**- طالب دكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة بوعلي‌سينا، همدان، إيران. (الكاتب المسؤول).
البريد الإلكتروني: sh.delshad@ymail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/١٠/٠٦هـ.ش= ٢٠١٤/١٢/٢٧م تاريخ القبول: ١٣٩٥/٠٢/٢١ هـ.ش= ٢٠١٦/٠٥/١٠م

المقدّمة

حصد أدونيس جوائز أدبية سنية منها جائزة الإكليل الذهبي في مقدونية سنة ١٩٩٨م، وجائزة غوتة في فرانكفورت سنة ٢٠١١م واستطاع أن يرشح من قبل النقاد لنيل جائزة نوبل للآداب في عدة مرّات وهذا الأمر قد دعا بعض النقاد أن يطلقوا عليه لقب المرشّح الأبدي. من أعمال أدونيس الشعرية ديوان *"أغاني مهيار الدمشقي"* الذي ترشّح لنيل جائزة نوبل للآداب سنة ٢٠١٤م بعد أن ترجم إلى عدة لغات ولاسيما اللغة الإنجليزية. والشاعر، وإن لم يحصد هذه الجائزة، نال شهرة طائرة بسبب هذه الترشحيات المتعددة. وقد اعتمدت هذه الدراسة على نظرية حسام الخطيب المعنونة بـــ«مقوّمات العالمية الأدبية» لتبيين المقومات التي تسببت في ترشيح هذا الديوان على مستوى عالمي. إذ إن هناك صلة وثيقة بين الأثر الذي يرشّح لنيل جائزة نوبل ومقوّمات العالمية. «والوصول إلى عالمية الأدب من أبرز طموحات الأديب المعاصر وقد تناول بعض المقارنين العرب هذه القضية وناقشوها وبيّنوا مقوّماتها. فهم نظروا إلى الأدب العالمي، وعالميّة الأدب على وجه العموم وإلى عالميّة الأدب العربي على وجه الخصوص؛ منهم محمد غنيمي هلال وفؤاد المرعي وسعيد علوش، وعز الدين المناصرة، ونبيل راغب، وعبده عبود. وعلى رأسهم الناقد والمقارن العربي الذائع الصيت *حسام الخطيب* الذي شغلته قضية عالمية الأدب عامة، وعالمية الأدب العربي على وجه التحديد»[١]. وخصّص لها في كتابه «الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة» بحثا قيما فريدا في بابه[٢]. وبسبب شهرة نظرية الخطيب عن العالمية في الأقطار العربية فقد اعتمدنا عليها هنا للكشف عن مقومات العالمية في ديوان «*أغاني مهيار الدمشقي*» لأدونيس.

ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» من أبرز دواوين الشاعر وقد أورد فيه تأملاته عن الحياة والدنيا والتراث الأسطوري والعربي وتحدث عن الحرية والكرامة الإنسانية وسائر القضايا التي يعانيها الإنسان المعاصر. وقد أثارت هذه الميزات إعجاب كثير من النقاد والدارسين ولقي شعره صدى واسعا وصيتا طائرا على الصعيدين الوطني والدولي. تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن المقومات الأساسية لفهم قضية العالمية وتركز اهتمامها على رصد مقومات العالمية في هذا الديوان. والمنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفيّ التحليليّ، وتقوم- كما أسلفنا- على نظرية حسام الخطيب حول عالمية

١- هادي نظري منظم وشهرام دلشاد، **مقوّمات العالمية في رواية "رامة والتنين" لإدوار الخراط**، ص ٢٠.

٢- أنظر: حسام الخطيب، **الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة**، ص ٢٣٠-٢٥٠.

لأدب، وتتخذ ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» لأدونيس نموذجا للدراسة والتطبيق، دون أن تغض الطرف عما ألف حول هذا الديوان من الكتب والمقالات.

هناك **سؤالان** نحاول أن نجيب عنهما هما: ١. ما هي أبرز مقومات العالميّة في ديوان أغاني مهيار الدمشقي حسب آراء حسام الخطيب؟ ٢. هل يصلح هذا الديوان أن يدخل في مشروع عالمية الأدب حسب آراء حسام الخطيب؟

في الرد على السؤال الأول نرى أن هذا الديوان قام على أساس الموقف الإنساني الجلي والمنتج االفكري الصافي وتليهما مقومات العالمية الأخرى كالتفرد والابتكار من ناحية المعنى واللغة والأسلوب. وفي الرد على السؤال الثاني نقول إن الديوان يصلح أن يدخل ضمن مشروع عالمية الأدب لكن بشيء من التسامح والحيطة وذلك لأن الديوان رغم احتوائه على عدة خصائص العالمية يفقد عملية التوازن والمقوم الإطاري.

لم نجد دراسة مستقلة عن مقومات العالمية في أعمال أدونيس. وهناك دراسات كثيرة تحدثت عن آرائه النقدية وأغراضه الشعرية كما أن هناك دراسات ارتكزت على فرادة الشاعر وعبقريته منها كتاب «مشروع أدونيس الفكري والإبداعي» بقلم عبدالقادر محمد مرزاق (٢٠٠٨م)، قد أورد فيه الكاتب آراء قيمة حول شاعرية أدونيس ومصادره الفكرية والخصائص الإبداعية عنده. وكتاب «شعر أدونيس، البنية والدلالة» بقلم راوية يحياوي (٢٠٠٨م) ، درست فيه الباحثة شعر أدونيس دراسة بنيوية دلالية. ومقالة «مقومات العالمية في اللغة العربية وتحدياتها في عصر العولمة» بقلم عبدالرزاق عبد الرحمن سعدي (١٤٢٩ق)، ركز هذا البحث على خصائص اللغة العربية التي تؤهلها لأن تكون لغة عالمية واسعة الانتشار تؤدي دورها في حضارة الأمة الإسلامية خصوصا والأمم الأخرى عموما. هناك أيضاً مقالة عنوانها «مقوّمات العالمية في رواية "رامة والتنين" لإدوار الخراط في ضوء نظرية حسام الخطيب» (١٣٩٢ش) بقلم هادي نظري منظم وشهرام دلشاد. هذه المقالة اعتمدت على نظرية حسام الخطيب وبحثت عن مواصفات العالمية في رواية رامة والتنين.

أما هذه الدراسة فتميّزت في كونها ركزت على ديوان "أغاني مهيار الدمشقي" وبحثت عن مدى امتلاك الديوان لمقومات العالمية على ضوء نظرية حسام الخطيب ليثبت سمة العالمية التي اتصفت بها أعمال الشاعر وتسببت في تسميته بالمرشح الأبدي لنيل جائزة نوبل للآداب فدراستنا، من هذه الجهة، جديدة لم يتطرق إليها أحد.

نظرة على آراء حسام الخطيب

مقوّمات العالمية حسب آراء حسام الخطيب ثلاثة أنواع: الذاتية واللغوية والإطارية[١]. الذاتية تأتي على خمسة أقسام: أولها الموقف الإنساني: «إنّ الأساس الأول لعالمية الأدب، هو المقياس الموقفي أو المضموني أو الفكري. أي ماذا يقدّمه الديوان الشعري أو الرواية أو الكتاب النقدي من فهم لقضية الإنسان سواء في إطار مجتمعه الخاص أم في إطار الكون والمصير»[٢]. والقسم الثاني من الذاتية هو النكهة المحلية «مع أن قضية الموقف الإنساني تعدّ الشرط الأساسي للرقي بالأدب إلى مستوى العالمية فإنه يجب عدم أخذ هذا الحكم على إطلاقه، وينبغي أن نقرر أيضاً أن هناك أعمالاً أدبية خالدة لايعود خلودها إلى طبيعة الموقف الذي تقترحه من قضية الإنسان، ولكن إلى ما تتمتع به من نكهة محلية وشخصية قومية أو إقليمية خاصة، ومقدرة على التعبير عن روح منطقة معطاة من العالم في مرحلة تاريخية معينة»[٣]. والثالث من الذاتية هو عملية التوازن؛ «يبدو أنّ المطلوب هو عملية توازن دقيق بين المعاني المنشودة للخاصة والعامة، ما يخصّ مجتمعا معينا في فترة معطاة وما يخصّ الإنسانية بالمعنى المطلق وكذلك بين المتحوّل والثابت، أي بين ما هو الطارئ والضمني وبين ما هو جوهري ومتكرّر على المدى فيما يتعلّق بالحقيقة الإنسانية»[٤]. والرابع من الذاتية هو ميزة التفرد والإبتكار «قد يحظى عمل ما بشهرة فائقة بسبب ما فيه من لون نوعي جداً ومميز جداً قد يختلف اختلافا كبيرا عن روح المنطقة الأجنبية التي يشتهر فيها أو عن المناخ الأدبي السائد عالميا»[٥]. أما الخامس من الذاتية فهو ميزة الإتقان. يعد الإتقان من مقومات العالمية والمراد به هنا «توفر شرط الإتقان الفني بوصفه شرطا لازبا لا غنى عنه في عملية الترشيح للعالمية، وأن مفهوم هذا الشرط مرن جدا ومتراوح مماط ومستعص على التحديد القاطع»[٦]. «كلما ارتقى العمل الفني تعذر الفصل بين عناصره، لكن هذا الفصل يبدو أسهل في حالة الأعمال الأقل شأناً وإذاً لابد من توافر شرط الإتقان الفني لأي عمل يرشح نفسه للعالمية»[٧].

١- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٠.

٢- **المصدر نفسه**، ص ٢٣١.

٣- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٢.

٤- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٤.

٥- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٣.

٦- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٧.

٧- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٦.

النوع الثاني من المقومات هو المقوم اللغوي الذي يسترعي انتباهنا إليه حسام الخطيب في معرض حديثه عن عالمية الأدب بقوله: «من الواضح جدا أن الأعمال المكتوبة باللغات الحية هي التي تتمتع بفرص أكبر للعالمية، أو ذات انتشار واسع، متسعة الصدر للإبداعات التي ترفدها من أفراد متميزين ينتمون لشعوب وأعراق متعددة كانت فرص إشعائها العالمي أقوى، ربما لأن هذا الانفتاح يوسع مدرج انتقاء الأعمال الجيدة من جهة ويقوي من جهة أخرى الجوهر الإنساني للعمل الأدبي»[١]

أما المقوم الأخير فهو الإطارية التي يقول عنها الخطيب: «على أنه لاينبغي الاعتقاد إطلاقا بأن كل عمل فني جيد يحمل خواص الموقف الإنساني يستطيع بالضرورة أن يرقى إلى دائرة العالمية. إن المسألة ليست مفتوحة هكذا ولا هي آلية. إن مبدأ العالمية خاضع لنسبة كبيرة من الحظ والمصادفة وليست الأعمال ذات الشهرة العالمية هي بالضرورة أفضل ما أنتجه الجنس البشري من إبداع. وإلى جانب المصادفة هناك مقاييس أخرى دنيوية أو فوق أدبية، كالمقياس السياسي وهناك وسائل اتصال ثقافي محددة تشكل الأقنية الطبيعية لبلوغ العالمية»[٢].

١. الدراسة والتحليل

هنا نقف عند مقوّمات العالمية في ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» ونتاولها بالدرس والتحليل.

أ. الموقف الإنساني

يتناول أدونيس في ديوانه "أغاني مهيار الدمشقي" أهمّ القضايا الإنسانية كالحياة والموت، الحب والانتظار، الجرح والأمل نستعرضها فيما يلي:

أولاً. مفهوم الانتظار

الانتظار من مظاهر الموقف الإنساني الجلي في الأدب. الإنسان يكون في عراك دائم طيلة حياته بالانتظار. وهو «كموضوعة (تيمة) دخلت بعمق في صلب النص الأدبي، فشكلت ظاهرة عالمية يتعاطاها الأدباء كموضوعة من موضوعات الأدب العالمي في مختلف الأنواع الأدبية من شعر ومسرح وقصة ورواية»[٣].

١- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٨.

٢- **المصدر نفسه**، ص ٢٤٥.

٣- (الخليفة: www.imamreza.net).

نرى في المقطع الآتي أن الشاعر يتحدث عن مفهوم الانتظار ليشفي بها غليل الإنسان بعد أعوام كثيرة مضت بالتربص والتصبر. هذا الموضوع مشترك وأثير بين الديانات والعقائد منذ أقدم العصور حتى يومنا الحاضر:

«ويا صديق اليأس والرجاء/ الحجر الأخضر فوق النار/ ونحن في انتظار/ موعدُك الآتي من السماء»[١].

نستشف في المقطع أن الشاعر يريد أن يسلي الإنسان الذي يتحرك بين اليأس والرجاء فيجلس حزينا وفرحا في انتظار من يأتي ولا يأتي. لكن يرى الشاعر أنه يأتي لأنه وعد وموعده السماء ولابدّ أن يأتي من السماء. جعل الشاعر معاني شعره مفتوحة أمام التفاسير والتأويلات فلا يتحدث عن هذا المفهوم في ضوء دين أو مسلك محدد بل يتمتع به الإنسان في لواء كل مسلك وطريق. وبه يتسلى الإنسان من لوعة الانتظار المحرقة.

ثانياً. مفهوم الدهر

إن الشكوى من الدهر تعد تمردا على الظروف والمشاكل الذي يعانيها الإنسان وهي موضوعة قديمة عند الأدباء ومنهم شاعرنا الذي يقف منه موقف الشاكي ويعبر عن معاناة الإنسان المعاصر فيه كما نرى في مقطعه الشعري المسمى بـــ"الأيام":

«تعبت عيناه من الأيام/ تعبت عيناه بلا أيام/ هل يثقب جدارن الأيام/ يبحث عن يوم آخر/ أ هنا أ هناك لك يوم آخر؟»[٢].

هذا الموقف السلبي من الدهر والأيام يضاهي موقف الشعراء الفلاسفة والحكماء كالخيام، وأبي العلاء المعري، والمتنبي وشكسبير وغيرهم عبر العصور. وهذا الموقف المؤسس على الحكمة خلد شعرهم طيلة الدهور إذ لغة الحكمة لغة جميع الأعصار التي لا تبلى عبر الدهور كقول الأعشى الأكبر في سب الدهر:

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرءِ إلا عناء معن[٣]

وكقول المعرّي:

١- أدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ٢٣٨.

٢- **المصدر نفسه**، ص ١٤٩.

٣- الأعشى الأكبر، **ديوان**، ص ١٥.

يَسُوسُونَ الأمورَ بغَيرِ عقلٍ فَيُنفَذُ أمرُهم ويُقالُ ساسَه
وأُفٍّ من الحياةِ وأُفٍّ منّي ومِن زَمنٍ رئاستُهُ خَساسَه[١]

إن الإنسان عند أدونيس لابد أن يثقب جداران الأيام ليبحث عن يوم آخر غير مشحون بالعناء والحزن، فهذه الدنيا لاتليق بالحياة فيريد الشاعر أن يكشف أفقا آخر فيمزج شعره هنا بين الواقعية والرومانسية وكما أن الشاعر الرومانسي الفارسي سهراب سبهري يبحث عن مدينة خلف البحور[٢]. فأدونيس يبحث عن الأيام خلف الجدران ويفتش عن يوم مفقود وزمن ضائع.

ثالثاً. التصوف والفلسفة

هذا الديوان يتغذى بالتصوف الشرقي والآراء الفلسفية الغربية وذلك لأن الشاعر استأنس في صغره بكبار الأدباء الفرنسين منهم بودلير في كتابه «أزهار الشر» وهذه الآراء قد أثرت على رؤيته الفكرية فمن ثم نجد في دواوينه ولاسيّما هذا الديوان المدروس تزاحماً للآراء القيمة التي يعرضها أدونيس كفيلسوف والتي تجعل صلة وثيقة بين ديوانه والقضايا الإنسانية. فهذا الديوان يقوم على الموقف الإنساني وفيه تساؤلات وأجوبة أساسية ترتبط بالإنسان وقضيته فلا ينسى شاعرنا الإنسان ساعة ويتحدث دائما عن مشاكله وقضاياه المعاصرة كقضية "الجرح":

أمطر على صحرائنا/ يا عالماً مزيّناً بالحلم والحنين/ أمطر، ولكن هزّنا، نحنُ، نخيل الجرح[٣].

يريد أدونيس أن يجرد الإنسان من الحياة المادية الدنسة الحافلة بالدنايا فيقربه إلى التصوف الخالص الذي يمثل مهيار نموذجاً منه:

ذاك مهيار قديسك البربري/ يا بلاد الرؤى والحنين/ حامل جبهتي، لابسٌ شفتي/ ضدّ هذا الزمان الصغير على التائهين[٤].

نرى أنه يتحدث عن آلام الإنسان وآماله وتبتعد آراؤه عن الأحادية والانحياز فهو يظهر كالخيام شاعراً عالمياً يتمتع بقول عام ولاتقتصر آراؤه على بلد محدد وذلك لأنها تمتزج بالديانات والأفكار

١- أبوالعلاء المعرّي، **ديوان لزوم ما لايلزم**، المجلد الأوّل، ص ٥٦٠.

٢- سهراب سبهري، **هشت كتاب**، ص ٢٢٧. يقول: قايقي خواهم ساخت، خواهم انداخت به آب، دور خواهم شد از اين خاك غريب.

٣-أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ١٧١.

٤- **المصدر نفسه**، ص ١٦٤.

والعقائد المختلفة ولا تنصب في وعاء خاص. فهو يخلع على مهيار ثوب الشخصيات الأسطورية التي تحمل رمز النجاة فلا يعود القارئ من قرائته خالي الوفاض، ولا يختلف أن يكون القارئ عربيا أو أروبيا أو صينيا أو فارسيا. فهم يقرؤونه من كل أنحاء العالم إذ يتبنى أدونيس في هذا الديوان موقفا إنسانيا جليا ولا يترك الإنسان أبدا وهو يتحدث دائما عن القضايا الهامة التي يعانقها الإنسان في هذه الكرة الأرضية. «والإنسان عند أدونيس هو الذات المفردة، الخلاقة المسؤولة، وقد أضفى الشاعر على الإنسان بعداً إنسانيا يتجاوز القومية والجنس الى الإنسان بما هو إنسان، وهو يترع نزوعاً إنسانياً إلى القيم الإنسانية الخالصة، فهي نزعة كانت واضحة لدى الشعراء من أمثال بشار بن برد وأبي نواس، وأبي العتاهية وابن الرومي، والمعري»[١].

ب. اللون المحليّ ونكهته الخاصة

اللون المحلي هو الثاني من المقوّمات الذاتية لعالمية الأدب حسب آراء حسام الخطيب. ينبغي للأثر الأدبي القيّم -فضلا عن موقفه الإنساني الجلي- ألا يبتعد عن الجذور التي نشأت فيه وارتوت منه. فاللون المحلي للأثر الأدبي هو الشرط الثاني للارتقاء بالأدب نحو العالمية. نجد في ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» لأدونيس أضواءً تربطه بالنكهة المحلية وتطبعه بطابعها فهو لم يفارق موطنه الأصلي العربي السوري، لكن هذه النكهات كانت قليلة الأصداء والشاعر لا يسعي سعياً بالغاً في تأصيل أشعاره. هنا نشير إلى بعض مظاهر المحلية في ديوان:

أولاً. شخصية مهيار الدمشقي

يظهر هذا اللون من عنوان الديوان؛ فهذا الديوان يشتمل على أغاني مهيار الدمشقي. أي مهيار يسكن في دمشق وله أغاني وأشعار يتحدث من خلالها عن الأحداث المرتبطة بآمال شعبه العريق وآلامهم. فهو الذي يغني لأبناء بلده وينشر الزهور على رؤوسهم. لكن من هو مهيار ومن أين أخذه أدونيس؟ أ من التراث الأدبي العربي أو التراث التاريخي أو الديني العربي؟ قد يطلق أدونيس على هذه الشخصية اسم الملك:

١- وائل غالي، **الشعر والفكر؛ الأدونيس نموذجاً**، ص ١١٧.

«ملك مهيار/ ملك والحلمِ له قصر وحدائق ونار/ ملك مهيار/ يحيا في ملكوت الريح/ ويملك في أرض الأسرار»[١].

وقد يطلق عليها أسماء أخرى:

«مهيارُ وجهٌ خانقوه عاشقوه/ مهيار أجراس بلا رنين/ مهيار مكتوب على الوجوه/ أغنية تزورنا خلسةٌ/ في طرق بيضاء منفية/ مهيار ناقوسٌ من التائهين/ في هذه الأرض الجليلة[٢].

فهو يضفي على مهيار صورا مختلفة شعرية لا نجد مثيلا لها في التراث العربي فاستوحاها الشاعر من شاعر انحدر من أصل إيراني عاش في العصر العباسي ونظم بالعربية أشعاراً كثيرة وما هو إلا مهيار الديلمي الذي يذكرنا عنوان الديوان به. فمهيار رجل فارسي، تشيع للإمام علي(ع) وعارض الخلفاء الثلاث الأولى أبي بكر وعمر وعثمان تابعاً أستاذه الشريف رضي الذي أسلم مهيار على يده. لكن مهيار الدمشقي يريد استعادة الحضارة الفينيقة «في شعر أودنيس يسيطر حلمها لإعادة إلى رحاب الحضارة الفينيقية القديمة، حيث تعانق روحه طقوس الفينيق، فتستشعر روح البعث واليقظة على أبخرة معابد بعلبك وتحت عظمة هياكلها، ويسخر الحضارات الأخرى التي بسطت سلطانها على الأرض السورية في العهود التاريخية المتأخرة»[٣]. لكن بوجه عام «يبدأ الشاعر برسم صورة مهيار ويظهر تأثره جلياً وشاملاً بأساليب الصوفية فهو لذلك يصطنع لغة زئبقية تفلت من الفهم وتخرج من حدود الدلالات[٤]»

فمن ثم تقوم هذه الشخصية المستدعاة بوظيفتين تربطانها بالمحلية، وهما ثورته لاستعادة الحضارة الفينيقية وارتداؤه زيا صوفياً شرقيا. والصوفية التي يتحدث عنها الشاعر عبر هذه الشخصية، تظهر بوضوح في الفصل الأول من الديوان فهو «فارس الكلمات الغريبة» لايبتعد عن الرمزية الصوفية التي كانت متفشية في الشرق منذ القدم كما نجد في المقطع الآتي:

١- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ١٤٥.

٢- **المصدر نفسه**، ص ١٤٦.

٣- علي شرع، **بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس**، ص ١١.

٤- أحمد يوسف داود، **التطور الشعري عند أدونيس**. ص ٧٧.

«يرسم قفا النهار/ يصنع من قديمه نهاراً ويستعير حذاء الليل/ ثم ينتظر ما لايأتي/ إنه فيزياء الأشياء يعرفها ويسميها بأسماء لايبوح بها/ إنه الواقع ونقيضه/ والحياة وغيرها/ حييث يصير الحجر بحيرة والظل مدينة/ يحيا/ ويمشي في الهاوية وله قامة الريح»[١].

تظهر ومضات صوفية فيها بوضوح وتذكرنا بأئمة الصوفية في الشرق الذين يتصدون لأعمال خارقة. فنجد مهيار يرسم قفا النهار ويستعير حذاء الليل ويلبسه، إنه الواقع ونقيضه والحياة ونقيضها يصيّر الحجر بحيرة والظل مدينة فأدونيس لا ينسى هذه القضية في الشرق وهذه الحياة الروحانية التي يعانقها المشارقة تختلف تماماً عن الحياة المادية في الغرب. «فيكتسب مهيار بنتيجتها سمات بارزة لا تفارقه، أهمها الرفض والتحول أو الصيرورة الدائمة والسفر، ثم التجدد والقدرة على التولد الذاتي مثل الفنيق»[٢].

نجد النكهة المحلية في اسم الديوان والفصل الأول من الديوان مفعم بالقضايا الصوفية الشرقية. وله في هذا الديوان أربع مراثي لشخصيات حقيقية إحداها «لعمر بن الخطاب»[٣]؛ الثانية: «لأبي نواس»[٤]؛ والثالثة «لحلاج»[٥] والرابعة «لبشار بن برد»[٦].

ثانياً. الأسطورة الشرقية

قد تناول الشاعر في شعره الأسطورة العربية الشهيرة المسماة بـــ«إرم ذات العماد» وتحدث في فصل من ديوانه عن هذه الأسطورة ومدينة إرم البائدة في القرون الخالية والتي لم يبق منها إلا ذكرها في القرآن الكريم وفي سورة الفجر بنص قصصي رشيق وفي كتاب ألف ليلة وليلة. و لم يعثر علماء الآثار على موقع هذه المدينة وربما كان في دمشق أو الأردن. يتحدث أدونيس عن هذه المدينة الأسطورية بقوله:

١- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ١٤٣.

٢- يوسف حلاوي، **الأسطورة في الشعر العربي المعاصر**، ص ٣١٣.

٣- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ٣٠٨.

٤- **المصدر نفسه**، ص ٣٠٩.

٥- **المصدر نفسه**، ص ٣١٠.

٦- **المصدر نفسه**، ص ٣١٢.

«عاد شدادٌ عاد/ فارفعوا رأية الحنين/ واتركوا رفضكم الإشارة/ في طريق السنين/ فوق هذه الحجارة/ باسم ذات العماد/ إنها وطن الرافضين/ الذين يسوقون أعمارهم يائسين/ كسرو خاتم القماقم/ واستهزؤوا بالوعيد/ بجسور السلامة/ إنها أرضنا وميراثنا الوحيد/ نحن أبناءنا المنظرين ليوم القيامة»[١].

نرى أن الشاعر حكى قصة «إرم ذات العماد» وأضفى عليها نفخة عصرية وصوّرها بملكها شدّاد وأبناء وطنه الرافضين. توظيف هذه الأسطورة أعطى الديوان ميزة العالمية إذ نجد كثيرا من الأدباء العالميين الشهريين كأمثال جيمس روليتر، فرانك هربرت، شون مكمولين اقتبسوا من هذه القصة الأسطورية في رواياتهم وأعمالهم. لكن الملفت هو توظيف هذه الخصائص المحلية التي ترتبط بالوطن الذي نظم فيها الديوان لأن هذه الأسطورة لدى الشاعر السوري المسلم ذات بعدين: البعد الأول هو استخدام اسطورة تعد عالمية لأن بعض الأساطير والميثولوجيا اجتاحت الحدود وخرجت من دائرة وطنها الضيقة ودخلت في الأساطير العالمية. والبعد الثاني استخدام الأسطورة المحلية الشرقية من قبل الشاعر الشرقي إذ إنه لم يستخدم الأساطير الإغريقية التي لا تمت بوطنها الأم بصلة.

لا تكون النكهات المحلية حكرا على ما أشرنا اليه فإنما انتشرت الألوان المحلية في تضاعيف ديوانه كما نجد الشاعر يبدأ عدة أشعاره بفصل خاص مسمى بـــ «مزمور» مقتبسا إياه من «مزامير داود». وهو يجعل عدة المزامير في ديوانه ويعنونها بالأغاني لينطبع ديوانه بطابع الأناشيد الدينية أو الميثولوجيا الشرقية. فمن ثم يجعل شاعرنا صلة بين ديوانه ومزامير داود ويضفي عليه طابع القدسية والإجلال. «والواقع أن كثيرا من الأدباء يقومون بالوظيفة التوثيقية والإستشهادية في كتاباتهم، تتجلى هذه الوظيفة حينما يجد المؤلف المصدر الذي استقى منه معلوماته أو المشاعر التي توقظها حادثة ما من وطنه»[٢].

نستطيع أن نصنف النكهة المحلية في ديوان أدونيس في ثلاثة محاور: أ: اختيار رموز وأساطير عربية مثل حلاج و أبي نواس. ب. توظيف رموز وأساطير غير عربية يطبعها الشاعر بالطابع العربي والمحلي كأنها أساطير منبثقة من البيئة العربية، كمزاميز داود وأسطورة إرم ذات العماد. ج. لمحات إلى وضع الشعب السوري المأساوي الذي انحدر في التدهور والفشل بعد سقوط الحضارة الفينيقة.

١- **المصدر نفسه**، ص ٢٦٥.

٢- نجاة وسواس، **السارد في السرديات الحديثة**، ص ١٠٧.

ج. عملية التوازن بين العامة والخاصة

حسب آراء حسام الخطيب، الأثر الأدبي العالمي هو ما يتمتع به جميع القراء، المتخصصون منهم وغير المتخصصين[١].

هناك بعض المعاني التي تحبذها الشرائح المختلفة من الناس وذلك كالحب الذي له دلالات كثيرة يتمتع به القارئ من كل طبقة، فالعامي يدرك الحب حسب إدراكه والعارف يدركه من منظور آخر. إن شاعرنا قد يغوص في الرمزية والمعاني الصوفية التي يستغلق فهمها على القارئ العادي ولا يكتنهها إلا حسب ظاهر ألفاظها فيرجع منها خالي الوفاض. هذا القسم من أشعاره يستمتع منه المتخصصون وتكون متعة العامة منه أقل بالنسبة إلى الخاصة كما نرى في النموذج التالي:

«خرساء أو مخنوقة الحروف/ أو لا صوت أو لغة تحت أنين الأرض/ أغنيتي للموت/ للفرح المريض في الأشياء للأشياء/ أغنيتي للرفض/ يا كلمات الرعب والدواء يا كلمات الداء»[٢].

يصف الشاعر هنا أغنيته التي تكون أغنية خرساء، لاصوت لها، كأنها أنين خفي في عمق الأرض، وإن أغنيته للموت والعدم، أو للفرح المريض أي الغم والحزن، والحزن الذي توارى في بطن الأشياء لايراه أحد، وإنه رفع أغنيته للرفض واستوحى كلمات شعره من الرعب والداء.

إن الشاعر في هذا المقطع حاول إرضاء مختلف طبقات الناس فمن حيث اللفظ اختار ألفاظا سهلة رشيقة يسهل فهمها على عامة الناس وابتعد عن الألفاظ العويصة والمصطلحات الحوشية والتراكيب الغامضة كما ابتعد عن الألفاظ السوقية العامية التي تنفر منها طبقة العلماء والمثقفون ولايسف إسفافا يحط من مكانته الأدبية. أما من حيث المعنى فقد جعل أغنيته مخنوقة خرساء تغني للموت والعدم والرفض والحزن. فهل يمكننا الآن أن نقول إن هذا الشعر يختص بالمثقفين والعلماء فقط؟ أو بعامة الناس؟ ألا ينشغل الإنسان المعاصر من كل طبقة بقضية الموت والرفض؟ فأدونيس في هذا المقطع وسائر مقاطعه الشعرية يعالج خوالج الإنسان المعاصر ونوازعه من كل طبقة وشريحة.

مع هذه السذاجة اللغوية التي نراها في شعره، قد نراه يوظف الرموز والأساطير ويغوص فيهما ويمزج بين الواقعية والسريالية التي يستغلق فهمهما على القارئ العادي ويرفضهما حين يصعب عليه فهمهما ولا يفهم مرمى الشاعر من توظيفهما فهنا يبقى فهم شعره حكرا على الخاصة كما نجد في وصف أغنيته بخرساء أو مخنوقة الحروف وجعلها للفرح المريض في الأشياء للأشياء. إذاً لا ندعي بأن

١- حسام الخطيب، **الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة**، ص ٢٣٥.

٢- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ٢١٩.

الشاعر لا يميل إلى الغموض ويبتعد عنه تماما. ولكن هناك سؤال يتبادر إلى الأذهان: إن كان شعر أدونيس غارقا في الغموض فما هو سبب عكوف هذا العدد الغفير على قراءة أشعاره من مختلف الشرائح والطبقات؟ وهذا خير دليل على أن ظاهرة الغموض في شعره لا تحول دون المتلقين لشعره ومرده إلى أسلوبه الشيق وألفاظه الرشيقة ومعانيه الرفيعة التي تروق عامة الناس.

د. الإتقان

القصيدة عند أدونيس شكل متكامل من الأساليب والأفكار المختلفة وتحظى بشروط إتقان العمل الفني؛ وأهم هذه الشروط هي:

أولاً. الكشف

مقولة الكشف والإيحاءات المختلفة حيث تكون قصيدته مفتوحة أمام العديد من التساؤلات والتأويلات وأدونيس يكون في عداد الذين تجاوزوا مفهوم الشعر باعتباره تعبيراً عن موقف، إلى مستوى جديد يجعله كشفا جديدا. فالحداثة لديه هي الكشف وليس التصوير والتعبير التقليدي ومن ثم لامندوحة عن تجاوز القديم للتوصل إلى هذا الكشف ولعل انتاج أدونيس الشعري طوال مسيرته يؤكد ذلك كما يبرز ذاك في «أغاني مهيار الدمشقي» و«المسرح والمرايا» و«كتاب التحولات». «فالإبداع ليس صدى لما هو قائم، بل هو محاولة للتجوز من أجل الوصول إلي شيء جديد باستخدام لغة تتناسب مع هذا الهدف وهو ما يمكن أن نطلق عليها لغة الكشف»[١].

انبثقت من أشعار هذا الديوان مقولة الكشف بأبعادها وتجلياتها المختلفة فالكتابة الإبداعية لايسهل التوصل إلى معانيها وكنه درجاتها على القارئ آنا، فإنما المهم أن يسعى القارئ لرصد الزوايا الغامضة والخفية في النص بالتعمق والتدرب والممارسة بعد التربص والانتظار. فالنص الأدونيسي عامة يحتوي على هذه الميزة ويبتعد كثيرا عن المعاني السهلة التي لا تقتضي فاعلية الكشف. فهذا المفهوم لا يناقض مفهوم التوازن لأن القارئ العادي بعد محاولة للكشف عن المعاني الغامضة للنص يتفهم ويتلذذ من معناه. على سبيل المثال في المقطع التالي من الديوان نلحظ ميزة الكشف والتزايد:

١- شمس الدين موسى، **أدونيس بين مهيار الدمشقي وقصائده الخمس**، ص ١٥٠.

«يضربنا مهيار/ يحرق فينا قشرة الحياة/ والصبر والملامح الوديعة/ فأستسلمي للرعب والفجيعة/ يا أرضنا/ يا زوجة الإله والطغاة/ واستسلمي للنار»[١]

من المحقق أن القارئ لهذا المقطع من ديوان أغاني يجد قيامه على الدعوة إلى الموت على يد مهيار الذي يحرق قشرة حياة الشاعر ويمزقنا، وكأن مهيار هو الذي ينقل الشاعر من الحالة الإيجابية إلى الحالة السلبية ومن الحياة إلى الموت ومن الماء إلى النار ومن المخاض إلى الركود. لكن القارئ المتأمل في محاولته الاكتشافية عن المقطع يربط الشعر بالتصوف ويرى أن الشاعر يسعى أن يخلق فضاء أو عالماً جديداً. وفيزياء الأشياء عند الشاعر تتسلخ من جلدها الكوني فهي الحياة نفسها لانقيضها فهو يحاول أن يخرج من العالم الأرضي نحو المعرفة والانطلاق. والمقطع كسائر المقاطع في الديوان يحتوي على طاقة كشفية لايمكن حصولها إلا بالدرس والتحليل. «وإذاً فكرة البحث عن المجهول أو اللامرئي هي إحدى وظائف الشعر الكشفي الميتافيزيقي أو إحدى تطلعاته فإن هذه الوظيفة تواجهنا في الصوفية بوصفها خاصية من خصائصها لأن البحث عن ماوراء المحسوس هو من أهم خصائص التصوف»[٢]. وأدونيس من هولاء الشعراء الذين يعتقدون بمقولة الكشف ووظيفتها الإبداعية لأنه يريد أن يتفاعل مع القارئ نحو اتجاه مجهول و يرسم مصيرا معلوما بعد محاولة جدية.

ثانياً. الإنزياح

انبثقت من الكتابة الإبداعية الأدونيسية أيضاً مقولة الانزياح بشكل واسع. «ظاهرة الإنزياح في شعر أدونيس قد أدت إلى تقوية لغته الشعرية وابتعادها عن الكلام العادي والمألوف كما أدت إلى لفت انتباه المتلقي وإثارة ذهنه وإيصاله إلى اللذة»[٣]. «أدونيس أحد الشعراء المعاصرين الذين فهموا الحداثة من حيث أنها إبداع ورغبوا في انتهاك قواعد اللغة العادية وثاروا على قيودها وأرادوا أن يخرجوا من أطرها، وهو يعتقد أن اللغة الشعرية بحاجة إلى الخروج عن الكلام العادي والمألوف»[٤]. هذه المقولة تضاعف الميزة الإبداعية في الديوان فنجد الشاعر يخرج من اللغة المعيار ويسوق قصيدته نحو الإبداع

٢- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ١٥٠.

٢- بشير تاويت، **ملامح وأصول مقولة الكشف**، ص ١٣٣.

٣- علي نظري ويونس وليئي، **ظاهرة الإنزياح في شعر أدونيس**، ص ١٠٥.

٤- عباس عرب، **أدونيس در عرصه شعر و نقد**، ص ٩٧.

والإتقان كما رأينا في حديثه عن مهيار: «يستعير حذاء الليل»[١]. و في موضع آخر يقول: «خرساء أو مخنوقة الحروف، أو لا صوت أو لغة تحت أنين الأرض»[٢]. وكثيرا ما نجد المعاني انزاحت عند الشاعر في هذا الديوان وتجاوزت من الدلالات المعجمية إلى الإبداعية كالنموذج التالي:

«تحرق أرض النجوم الأليفة/ هو ذا يتخطى تخوم الخليفة/ رافعا بيرق الأفول»[٣]

إن الشاعر في قوله "رافعا بيرق الأفول" يفاجئ القارئ بخروجه على الكلام العادي وذلك لأن البيرق لا يرفع إلا عند الانتصار والغلبة فمن المتوقع أن يأتي الشاعر بعده بكلمة الانتصار والظفر فهذه المفارقة أضفت على شعره الطراوة والروعة وزادت من جماله. ونجد نموذجا آخر من الانزياح في قوله:

«صوت بلا وعد ولا تعلّة/ يصرخ والشمس له مظلّة/ متى، متى تضربُ ياجبلة/ وياصديق اليأس والرجاء»[٤].

نعرف أن المظلة آلة يستظل بها الإنسان ولا يمكن أن تضلل الشمس الإنسان ففي إسناد المظلة إلى الشمس نوع من الانزياح والخروج على قواعد اللغة الذي يخرق العادة ويخلق التروّي والمتعة لدى المتلقي.

البحث عن الإبداعية لدى أدونيس ليس بحثا جديدا لم يسبقه أحد وهناك عدد غير قليل من النقاد والباحثين الذين اندهشوا أمام كتابة الشاعر الإبداعية وقاموا بدراستها. على سبيل المثال تناولت الناقدة الراوية يحياوي المنتج الشعري الأدونيسي، وذلك من خلال دراسة بنية لغته الشعرية عبر مستويات ثلاثة تتأطر في «لغة الغياب، والثنائيات الضدية، والمعجم الشعري» وكذلك من خلال دراسة بنية صوره الشعرية عبر مستويات ثلاثة أخرى هي «التكثيف، والتفاعل النصي، والرمز والأسطورة» وفي الفصل الثالث درست الناقدة بنية الإيقاع الشعري للشاعر «الوزن والقافية، التكرار والتدوير وهندسة القصيدة»[٥]. ونحن لانبتغي هنا أن نفصل القول عن الإبداع أكثر. والمهم عندنا إبداعية الشاعر مضمونا وشكلا لأنها تعد شرطا لازبا لعدّ الأثر عالميا صالحا للترشيح لنيل جائزة نوبل للآداب.

١- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ١٤٣.

٢- **المصدر نفسه**، ص ٢١٩.

٣- **المصدر نفسه**، ص ١٥٨.

٤- **المصدر نفسه**، ص ٢٣٨.

٥- راوية يحياوي، **شعر أدونيس، البنية والدلالة**، ص ١.

٥. التفرد والابتكار

سبق أن قلنا إن التفرد والابتكار يعدان أحد الشروط للارتقاء بالجنس الأدبي إلى مستوى العالمية. وهنا لا يجوز لنا أن نقول إننا نواجه شاعراً فذا أو شعراً ذا مضمون أو أسلوب فريد بكر تماما وذلك لأنه يقتضي أن ندرس أشعار جل الشعراء وهذا ليس في وسعنا. فكيف يتسنى لنا أن نبحث عن ميزة الابتكار والتفرد في ديوان أدونيس لنصفه ديواناً عالمياً؟

التفرد في المضمون قليل جداً ويكثر في الصياغة والأسلوب وكيفية دخول الشاعر في الموضوع وطريقة بيان المضمون، وفي هذا السياق يقول الخير «إن أدونيس ظاهرة متميزة في الشعر العربي بل أحد مهندسي القصيدة الحديثة والذي صنع منها معجزة خارقة وأعجوبة من العجائب التي لم يسبقها أحد. ولانبالغ إذا قلنا إنه الرائد الأول الذي طوّر الشعر العربي المعاصر من حيث الشكل والمضمون واللغة»[١]. وذلك يعني أنه فاق سائر الشعراء في صياغة شعره وبناء قصائده ويعود ذلك على التفرد والإبتكار في ديوان "أغاني" وعلى لغته الشعرية الساحرة والأنيقة وأسلوبه الشيق والمتوغل في الرمز والأسطورة وأحياناً إلى أفكاره العميقة والفلسفية الممتزجة بومضات صوفية.

لننظر إلى المقطع التالي من الديوان حتى نجد الفكرة العظيمة التي عرضها الشاعر:

«ما همّتي الممكن أفرح أو ألم/ ففي تراتيلي، أبدأ إنجيلي/ أبحث عن مخبأ، عن عالم يبدأ/ في طرف العالم»[٢].

قد سئم الشاعر من هذا العالم المشغوف بالدنايا والمكتنف بالآلام والمشاكل ويريد أن يبدأ إنجيله من جديد ليبني عالما جديدا فأصبح مخبولاً يفتش عن مخبأ جديد. إنه قد خلع على هذا المعنى المطروق والمعهود لدى الشعراء مفهوماً جديداً وتحدث عن «العالم الجديد» الذي يحتل حيزا واسعا في شعر الشاعر ولاسيما في ديوانه هذا. وسآمة الشاعر من الدهر لم تحمله على التضجر والكآبة ليشتم الدهر ويمزق وجهه بأظفاره فإنما ينهض ويفتش عن طريق آخر ليواصل حياته في عالمه الجديد ويبحث عن مخبأ في طرف العالم.

ومثل هذه المعاني عند أدونيس دعا بعض النقاد أن يصفه بـــ«الخطاب السحراني، خلاب العقول»[٣].وهذا الأسلوب يحملنا أن نعتبره زعيم الحداثة في العصر الحديث، وذلك لأنه أول من طوّر

١- هاني الخيّر، **أدونيس، شاعر الدهشة وكثافة الكلمة**، ص ١.

٢- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ٣٩٦.

٣- عبدالواحد مرزاق، **مشروع أدونيس الفكري والإبداعي**، ص ١١٥.

الشعر الحديث وجسد خصائص الحداثة الشعرية في آثاره و«من غير استفاف أن نقول، بأن أدونيس هو الشاعر العربي الحديث الذي رافق، بضوء المعرفة والحساسية، اتجاهات مساءلة الحداثة الشعرية عبر استقصاء نادر، في كل من الثقافتين، العربية والغربية، وهو يعيد قراءة الشعر العربي، مبدلاً قراءات مسافات الإبداع الشعري، كاشفاً عن أسرار الإبداع الشعري في ما غير شعري، وعن التدمير في الإنحطاط، وعن الخطابة في الثورية، وفي الوقت نفسه هو يخترق الشعر الغربي، واصلاً بين غرب يبحث عن شرقه، وغرب يهدم عن غربه، مفيداً من ثقافته الموسوعية، ورؤيته الكونية، يقوده لهب الحرية و تأسيسة الإبداع»[١]

ننظر هنا إلى المقطع التالي لنجد هذه الطريقة الجديدة في بيان المضمون:

«لمرّة واحدةٍ، لمرّةٍ أخيرة، أحلم أن أسقط في المكان، أعيش في جزيرة الألوان، أعيش كالإنسان، أصالح الآلهة العمياء والآلهة البصيرة، لمرّة أخيرة»[٢].

في هذه القطعة الشعرية يرى الشاعر أن هناك مرة واحدة وهي نفسه تكون مرة آخرة. في هذه المرّة يريد الشاعر أن يدخل في مكان ما أو جزيرة الألوان ليعيش فيها، لأن العيش في ذلك المكان هو عيشة إنسانية يستطيع أن يتعامل مع الآلهة العمياء والبصيرة.

إذن هذه الميزة الأسلوبية والحداثية في الصياغة والمضمون هي التي تمخضت عن ارتقاء شاعرنا إلى مستوى التفرد في أسلوبه الجديد الذي يكون «بمنأى عن الأسلوب العربي السائد وقواعده العلمية، وإن شعره قد أثبت أنه يغاير قواعد البيان العربي التي يقاس الأسلوب على ضوئها، فضلاً عن أن أسلوبه التعبيري مختلف لا يعطي المدلول العربي الفصيح، وأن أسلوبه تفكيكي يقرؤه الإنسان فلا يجد فيه ظواهر»[٣].

و. المقوّم اللغوي

تحتل اللغة العربية المركز الرابع عالميا من حيث عدد المتكلمين بها كلغة أم، بينما تعتبر ثاني أكثر لغة انتشارا في العالم، من حيث عدد الدول التي تتحدث بها[٤]. وهي لغة مرنة حية ومن أغنى اللغات من

١- محمد بنيس، **حداثة السؤال**، ص ١١٣.

٢- أأدونيس، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص ٢٢٠.

٣- وائل غالي، **الشعر والفكر؛ الأدونيس نموذجاً**، ص ١١٥.

٤- (قنطرة، ar.qantara.de).

حيث المفردات والتراكيب ومتمرنة للتعبير عن الشؤون النفسية والاجتماعية. ومن الطبيعي أن يساعد هذا الأمر على عالمية ديوان «أغاني» وسائر الدواوين والروايات التي تكتب بهذه اللغة. وكتابة الرواية «الشحّاذ» لنجيب محفوظ الفائزة بجائزة نوبل للآداب سنة ١٩٨٨م، قد ساعد على شهرة هذه اللغة العالمية.

في البحث عن المقوّم اللغوي في ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» يجب أن نقول إن أول ما يستوقف القارئ عند قراءته لشعر أدونيس وبخاصة هذا الديوان، هو لغتها الفخمة والجزلة التي تحتوي طاقات إيحائية كثيرة، وهي لغة فصيحة بعيدة عن العامية قادرة على تصوير أحاسيس وأفكار الشاعر. وأدونيس نفسه يقول عن لغة التعبير في شعره: «إن للكلمة عادة، معنى مباشراً ، ولكنها في الشعر تتجاوزه إلى معنى أوسع وأعمق. لا بد للكلمة في الشعر من أن تعلو على ذاتها، وأن تزخر بأكثر مما تعد به، وأن تشير إلى أكثر مما تقول. فليست الكلمة في الشعر تقديماً دقيقاً أو عرضاً محكماً لفكرة أو موضوع ما، ولكنها رحم لخصب جديد. ثم إن اللغة ليست كياناً مطلقاً، بل عليها أن تخضع لحقيقة الإنسان التي يجهد للتعبير عنها تعبيراً كلياً. فهي إذاً ليست جاهزة بحد ذاتها بل تشرق وتنير. علينا في الشعر أن نخرج الكلمات من ليلها العتيق؛ أن نضيئها؛ فنغير علائقها ونعلو بأبعادها»[١]

تبدو ميزات شعرية التعبير عند أدونيس في كلامه السابق فاللغة عنده تحظى بدلالات مختلفة وطاقات إيحائية كبيرة بناها الشاعر على الكشف والغموض. «أدونيس يبني تنظيراته الشعرية على حداثة اللغة الشعرية التي ترى أن الشعر ليس تعبيرا وإنما تأسيس. واللغة عنده لا تنسخ الواقع ولا تصنف بلاغياً، إنها خالقة لممارسات نصية متنوعة، وهي لغة ابتعدت عن وعي الأشياء، ووعت الحضور الإنساني وتجربته الإنسانية، فمن ثم استعار في أدواته الشعرية أدوات اللغة الصوفية، لأنها تحوي أبعادا شمولية».[٢] فقد تجاوزت اللغة الأدونيسية من التعبير إلى الخلق. ولهذا يركز أدونيس تنظيراته في حداثة اللغة الشعرية على تفجيرها الذي يتجاوز مفهوم الانزياح، ويوضح في «زمن الشعر» مفهومه لهذه الثورة اللغوية بقوله: «إن هذه الثورة تكمن في تهديم وظيفة اللغة القديمة، أي إفراغها من القصد العام الموروث، هكذا تصبح الكلمة فعلاً لا ماضي لها، تصبح كتلة تشع بعلاقات غير مألوفة»[٣]. ومن

١- أدونيس، **زمن الشعر**، ص ١٥٧.

٢- وائل غالي، **الشعر والفكر؛ الأدونيس نموذجاً**، ص ٧.

٣- أدونيس، **زمن الشعر**، ص ١٢٦.

اللافت أن اللغة الإبداعية التي تحدثنا عنها تسببت في امتلاك الديوان لغة خصبة قادرة على بيان مفاهيم الشاعر.

وحري بنا هنا أن نقول إن للترجمة دورا رياديا في عالمية الأدب و«لا يمكن أن يلج عمل أدبي في دائرة العالمية ما لم يترجم إلى اللغات الأجنبية، وإلى الأنكليزية والفرنسية على وجه الخصوص. إن الترجمة هي أكبر وأهم مؤشر لعالمية العمل الأدبي، فالترجمة الأدبية إلى اللغات الأجنبية عموماً وإلى لغة أجنبية عالمية بشكل خاص تضمن للعمل الأدبي أكبر قدر ممكن من الإنتشار والتلقي العالميين وتمكنه بالتالي من ولوج دائرة العالمية»[١].

ديوان "أغاني مهيار الدمشقي" حُظي بأهمية بالغة وشهرة طائرة لما نقل إلى اللغة الإنجليزية والسويدية والألمانية والفرنسية وإلخ. وبخاصة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية. ومن المعلوم أن الآثار الأدبية لم تعثر على جائزة نوبل للآداب إلا بعد ترجمتها إلى اللغات الأجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية الدولية كما هو الحال في رواية «الشحاذ» التي ترشحت لنيل جائزة نوبل للآداب بعد ترجمتها إلى الإنجليزية. فديوان أغاني يمتلك هذا المقوّم اللغوي فمن ثم كان ترشيحه أمرا مقبولا.

ز. المقوّم الإطاري

نعني من المقوم الإطاري عوامل خارجية تمهد طريق الأثر للوصول إلى العالمية. لم يمتلك ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» هذا المقوّم حتى يرتقي إلى مستوى العالمية بسرعة وهذا الضعف لا يرجع إلى الشاعر فحسب. قد ولد شاعرنا في سوريا لا في نيويورك أو لندن أو باريس ليستقي من الإسهامات الحضارية والإتصالية لتلك المدن المتقدمة.

المقوم الإطاري اليوم يتوقف على العامل السياسي والحضاري. هناك دواوين و روايات عربية كثيرة تمتلك المقومات الذاتية واللغوية، لكن التخلف البين للدول العربية على الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والتقنية وعدم امتلاكها وسائل الإعلام القوية وقنوات الاتصال المتطورة يحول دون بلوغها مرتبة العالمية بسرعة[٢].

١- عبده عبود، **الأدب المقارن، مشكلات و آفاق**، ص ١٠٥.

٢- هادي نظري منظم وشهرام دلشاد، **مقوّمات العالمية في رواية رامة والتنين**، ص ٣٥.

النتيجة

أهم النتايج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي:

١. إنّ ديوان أدونيس يمتاز بعدة مقومات للعالمية، كما أنّ الحقول المعرفية المختلفة التي تغذى بها أدونيس صنعت منه متفكراً عالمياً على الصعيدين الوطني والعالمي. وهذه الحقول الفكرية جعلت ديوانه "أغاني مهيار الدمشقي" يتسم بمنحى إنساني وعالمي حيث نجد صلة وثيقة بين الشاعر وقضية الإنسان، وأغانيه أناشيد تنبض بالحيوية والذات الإنسانية المتفردة.

٢. اللون الوطني والنكهة المحلية والدلالات والإشارات التي تربطهما بمنبتهما الأصلي لها حضور خفيف في ديوان أغاني مهيار الدمشقي ونلمسها فيه بسبب ومضات من التاريخ والأسطورة العربية والتصوف الشرقي.

٣. يمكننا أن نعتبر الديوان عالمياً حسب آراء حسام الخطيب، وذلك من ناحية تحقيق التوازن المنشود عند العامة والخاصة، ولكن مع شيء من التسامح والتحفظ وذلك لأن شعره لم يجمع حديث العامة والخاصة ولغتهما جمعاً مقبولاً ومتوازناً، وقد يعود السبب لأسلوب الشاعر المتوغل في الرمز والأسطورة والسريالية والمعاني الفلسفية والصوفية ما جعل الديوان يخاطب طبقة المثقفين ويترك عامة الناس.

٤. طوّر أدونيس في ديوانه الشعر الحداثي بأسلوبه الفذ ونشر أثرا إبداعياً يُعد من أفضل دواوين الشعر العربي الحديث وأكثرها انتشاراً، حيث وظّف التقنيات الإبداعية الحديثة بالإضافة إلى لغته الأنيقة الساحرة وأسلوبه الشيق فتفرد فيه من حيث إبداعية النص الشعري.

٥. أما من حيث التفرد والابتكار فقد بلغ الديوان مرتبة العالمية ولم يكن احترارا لما قاله الأقدمون أو المعاصرون فتفرد شكلا ومضمونا. وإن كانت موضوعاته كالتصوف والأسطورة والمدينة الفاضلة مطروقة من قبل الآخرين فإنه تناولها بلغة جديدة وفكرة فريدة وأضفى عليها ثوبا قشيبا.

٦. أما من جهة المقوّم اللغوي فيمكن أن نعتبر الديوان ناجحاً بسبب لغته الرشيقة وكتابته باللغة العربية كأبرز اللغات العالمية والأدبية وترجمته إلى عدة لغات حية.

٧. المقوّم الإطاري يعني العوامل السياسية والاقتصادية والاتصالية التي تساهم في عالمية الأدب ومع أن هذا الديوان لم يحرم من الترجمة، هذه القناة الإتصالية المهمة، لكنّه لم يحظ بوسائل الإعلام القوية وقنوات الاتصال المتطورة وربما حال هذا الأمر دون بلوغه مرتبة العالمية.

❖ قائمة المصادر والمراجع

أ. الكتب:

١- أدونيس، علي أحمد سعيد إسبر، **الأعمال الشعرية؛ أغاني مهيار الدمشقي وقصائد أخرى**، (د.ط)، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٦م.

٢- ----------، **زمن الشعر**. الطبعة الأولى، بيروت: دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

٣- الأعشي الأكبر، ميمون بن قيس، **ديوان**، شرحه محمد محمد حسين، (د.ط)، الجماميز: مكتبة الآداب، ١٣٥٠هـ ق.

٤- بنيس، محمد، **حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر و الثقافة**، (د.ط)، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٨م.

٥- حلاوي، يوسف، **الأسطورة في الشعر العربي المعاصر**، (د.ط)، لبنان: دار الآداب، ١٩٩٤م.

٦- الخطيب، حسام، **الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة**، الطبعة الأولى، الدوحة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ٢٠٠١م.

٧- الخيّر، هاني، **أدونيس شاعر الدهشة وكثافة الكلمة**، (د.ط)، دمشق: دار رسلان ٢٠٠٦م.

٨- سبهري، سهراب، **هشت كتاب**، (د.ط)، تهران: گفتمان انديشه معاصر ١٣٨٩هـ ش/ ٢٠١٠م.

٩- شرع، علي، **بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس**، (د.ط)، دمشق: إتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧م.

١٠- عبود، عبده، **الأدب المقارن، مشكلات وآفاق**، (د.ط)، دمشق: إتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م.

١١- عرب، عباس، **أدونيس در عرصه شعر و نقد معاصر عرب**، (د.ط)، مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسي، ١٣٨٣هـ ش/ ٢٠٠٥م.

١٢- غالي، وائل، **الشعر والفكر أدونيس نموذجاً، تجربة رموز وإشارات وقطيعة وحدس**، (د.ط)، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.

١٣- مرزاق، عبدالواحد محمد، **مشروع أدونيس الفكري والإبداعي؛ رؤية معرفية**، (د.ط)، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر العربي، ٢٠٠٨م.

١٤- المعري، أبوالعلاء، **ديوان لزوم ما لا يلزم**، شرح كمال اليازجي، (د.ط)، بيروت: دار الجيل، ٢٠٠١م.

١٥- موسى، شمس الدين، **أدونيس بين مهيار الدمشقي وقصائده الخمس**، (د.ط)، ١٩٨١م.

١٦- يحياوي، راوية، **شعر أدونيس؛ البنية والدلالة**، (د.ط)، دمشق: إتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٨م.

ب. الدوريات:

١- تاوريت، بشير، **ملامح وأصول مقولة الكشف عند أدونيس**، مجلة المعرفة، السنة ٤٤. العدد ٥٠٩. ٢٠٠٦م، ص ١٠٦- ١١٨,

٢- نظري، علي ووليئي، يونس، **ظاهرة الإنزياح في شعر أدونيس**، دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة. العدد السابع عشر، ١٣٩٢هـ ش/ ٢٠١٤م، ص ٨٥- ١٠٦,

٣- نظري منظم، هادي وشهرام دلشاد، (١٣٩٢). **مقوّمات العالمية في رواية رامة والتنين لإدوار الخراط**، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، عدد ٣٤، ١٣٩٢هـ ش/ ٢٠١٤م، ص ١٩-٣٨,

٤- وسواس، نجاة (٢٠١٢)، **السارد في السرديات الحديثة**، مجلة مخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري. الجزائر: جامعة محمد خضر، ٢٠١٢م، ص ٩٧- ١١٥,

٥- يوسف داود، أحمد، **التطور الشعري عند أدونيس**، مجلة المعرفة، أيار، العدد ٢٠٧، ١٩٧٩م، ص ٨٢-١١٥.

ت. **المواقع الإلكترونيّة:**

١- الخليفة، حسين، **الشاعر أبو فراس الحمداني ومفهوم الانتظار**، شبكة الإمام الرضا (ع)، www.imamreza.net/arb/imamreza (١٣٩٤/١٢/١٠ هـ.ش /٢٠١٦/٠٢/٢٩ م).

٢- موقع قنطرة للحوار مع العالم الإنساني، ar.qantara.de/content (١٣٩٤/١٢/١٢ هـ.ش /٢٠١٦/٠٣/٠٢م).

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بررسی مؤلفه‌های جهانی شدن در دیوان "أغانی مهیار دمشقی" در پرتو آراء حسام الخطیب

دکتر سید مهدی مسبوق* شهرام دلشاد**

چکیده

تاکنون پژوهش‌ها و مطالعات پرشماری دربارۀ پدیده جهانی شدن ادبیات نگاشته شده است. در این میان حسام خطیب در کتاب «الأدب المقارن من العالمیۀ إلی العولمۀ» به قضیه جهانی شدن نگاهی جامع دارد و مؤلفه‌های مختلفی را برای آن بر می‌شمارد و این مؤلفه‌ها را به سه دسته تقسیم می‌کند: ویژگی‌های دورن متنی، زبانی و فرامتنی. از این دور او علاوه بر اینکه به ویژگی‌های درونی و ذاتی یک اثر توجه می‌کند به ویژگی فرامتنی و زبانی آن نیز می پردازد. مجموعه اشعار ادونیس زمینه مناسبی برای بررسی و شناخت مؤلفه‌های جهانی شدن فراهم می‌کند. بدین ترتیب پژوهش حاضر می‌کوشد با بررسی مؤلفه‌های جهانی شدن در دیوان "أغانی مهیار دمشقی" در پرتو نظریات حسام الخطیب میزان بهره‌مندی این دیوان از مؤلفه‌های جهانی شدن را بسنجد. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد که این دیوان از بیش‌تر این مؤلفه‌ها برخوردار است و می‌توان آن را اثری جهانی قلمداد نمود. از جمله این مؤلفه‌ها رویکرد انسانی شاعر است. از نظر ویژگی‌های هنری و ادبی نیز این اثر دارای زبان قوی و شکوه‌مند، و سبکی متمایز از دیگران است و میزان شیوه‌های مبتکرانه در آن به قدری است که او را نماینده اصلی شعر معاصر عربی قلمداد می‌کنند. اما با این وجود در این دیوان مظاهر اصالت کم‌رنگ است و گاه غموض و ابهام، فهم آن را برای مردم عادی دشوار می‌سازد. کما اینکه عدم بهره‌مندی این دیوان از مؤلفه‌های فرا متنی نظیر وسایل ارتباطی قوی، وابستگی شاعر به کشوری پیشرفته، راه شهرت آن را ناهموار نموده است. از این رو این اثر با وجود بهره-مندی از بسیاری از مؤلفه‌های جهانی شدن از برخی ویژگی‌ها کم بهره است.

کلید واژه‌ها: مؤلفه‌های جهانی، حسام خطیب، آدونیس، اغانی مهیار الدمشقی.

*- دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه بوعلی‌سینا همدان.

**- دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه بوعلی سینا همدان (نویسنده مسئول)
sh.delshad@ymail.com

Globalization in the Collection of Poems by Mahyar Damascene In light of Husam Khatib's Idaes

Dr. Seyed Mehdi Masboogh*, Shahram Delshad**

Abstract

There are various studies on the globalization of literature. Among other Arab literary figures, Dr. Hussam Al Khatib pays especial attention to globalization and enumerates many components for it and divides them into three categories: intra-textual, linguistic, and extra-textual or contextual. The collection of poems by Adonis is a suitable playground for investigating the elements of globalization. This study aimed to examine the collection of «Songs by Mahyar Damascene» Adonis in the light of the views of Hussam al-Khatib and consider the degree this collection enjoy global ingredients. The study showed that this collection includes most of the elements and can be regarded as a global work. Among the outstanding features of the work one can mention its attention to human values, strong artistic language and high discourse, and its distinct style. Nevertheless, This Divan does not have much originality, and is difficult to understand by ordinary people. Among other things, lack of resort to contextual elements, such as using strong communication tools has stood in the way of its becoming universally known.

Keywords: global elements, Hossam al-Khatib, Adonis, songs of Mahyar Damascus.

* - Associate professor in Arabic Language and Literature Bu Ali Sina University, Hamedan, Iran.

** - PhD student of Arabic Language and Literature. Bu Ali Sina University, Hamadan, Iran.